سلسلة دروس ومحـــــــــاضرات في "اللغة وحوار الحضارات"
المتعلّقة بمقرّر السداسي الأول للسنة الأولى مـــاستر، لسانيّـــــات
عربيّـــة. المجمـــوعـــة الثـــانية الأفواج 4- 5- 6 .

إعداد الأستـــاذ / خ. تكـــركـــارت

أوّلًا: مفردات البرنامج:

1. اللغة والحضارة (مفاهيم تأسيسيّة).
2. التبادل والتفاعل بين الأمم.
3. حوار الحضارات وخصوصيّة الثقافة.
4. مجالات الحوار بين الغرب والعرب القدامى.
5. الحوار الحضاري، والتواصل اللغوي.
6. مبادئ حوار الحضارات وشروطه.
7. اللغة وحوار الحضارات:
   - الغرب القدامى.
   - العرب القدامى.
   - عصر النهضة.
8. أهداف الحوار ومسائله.
9. التيارات اللغويّة بين الأمم قديمًا وحديثًا.
10. دور الترجمة في حوار الحضارات.
11. الحوار والصراع بين الحضارات.
12. اللغة والهويّة وحوار الحضارات.
13. حوار الحضارات ولغات التخصّص.

- ولتحقيق الغاية والهدف، لا بدّ من العودة إلى المراجع العلميّة المختلفة التي تساعد على فهم وتحصيل المادّة العلميّة حول هذه المفردات.

ثانيًا: مراجع المقرّر:

- محمد عبد الرحمان مرحبا، أصالة الفكر العربي، ديوان المطبوعات الجامعيّة، الجزائر، 1983.
- محمد عبد الرحمن مرحبا، الموجز في تاريخ العلوم عند العرب، تقديم جميل صليبا، دار الكتب اللبناني، بيروت، 1981.
- محمد عابد الجابري، التجربة الألمانيّة والتجربة العربيّة اتّصال وانفصال، من مقال، ابن رشد يفتي كانط. مركز دراسات الوحدة العربيّة، ط3، لبنان 2007.
- فرناند، بروديل، تاريخ وقواعد الحضارات، ترجمة وتعليق حسين الشريف الهيئة المصريّة للكتاب، 1999.
- نفر زيادة، قمم من الفكر العربي الإسلامي، الأهليّة للنشر والتوزيع، لبنان، 1987.
- سالم المعوش، الأدب وحوار الحضارات (المنهج والمصطلح والنماذج)، دار النهضة العربيّة، ط1، بيروت، 2006.
- مازن الوعر، دراسات لسانيّة تطبيقيّة، دار طلاس، دمشق، 1989.
- عبد السلام المسدي، العولمة والعولمة المضادّة.
- علي علي سليمان، "أثر الثقافة العربيّة في الثقافة الغربيّة" مجلّة الثقافة، وزارة التعليم العالي، الجزائر، 1983.
- محي الدين، صابر، "العلاقات الثقافيّة العربيّة الأوربيّة" في المجلّة العربيّة للثقافة، السنة الثالثة، م. ع. ت. ث. ع، ع4 جمادى الأولى 1403 هـ مارس 1983.
- الصادق بخوش، "حضارة المعرفة (الحضارة العربيّة أنموذجًا)" مجلّة الناص، ع12، جامعة جيجل، الجزائر 2012.
- ماكس فانتجو، المعجزة العربيّة، تر: رمضان لاوند.
- زيغريد هونكه، شمس العرب تسطع على الغرب، تر: فاروق بيضون، وكمال الدسوقي.
- ناجي معروف، أصالة الحضارة العربيّة.
- محمد البهي، الدن والحضارة الانسانيّة.

- **ويمكن الاستعانة بالمراجع المنشورة عبر شبكات الانترنيت الموثوقة، وذلك باستخدام الكلمات المفاتيح، في كلّ مرّة، ومع أيّ مفهوم ورد في المقرّر، ك،ن تكتب: حضارة في محرك البحث غوغل مثلًا.**

1. اللغة والحضـــــارة: مفـــــاهيم تـأسيسيّــة

تقديم:

إنّ البحث عن المفهومين المذكورين أعلاه، يتضمّن استقراءً واسعًا، وتحريًا عميقًا، في أيّ منهما، ولاسيما "لفظة اللغة" هذا المفهوم، الذي مرّ معنا في أكثر من مرّة، وفي أكثر من مقياس، منذ السنة الأولى جامعيّة إلى الآن وما يزال: فهو مرتبط بحقل الاختصاص، أي دراسة اللغات عمومًا، واللغة العربيّة بصفة خاصّة، فقد تحيلنا اللفظة في الدراسات القديمة كفقه اللغة ونحوه، أو علم الأصول بفرعيه الفقهي والنحوي إلى دلالة محصورة في معنى "اللهجة"

بينما لفظة "العربيّة" في المجال نفسه تعني اللغة المتعارف عليها الآن وما تشتمل عليه من نحو وصرف، وعلوم العربيّة المختلفة من بيان وبلاغة ونحوهما، وهذا المفهوم الآن تطوّر مع تطوّر مجالات البحث والدراسة، ليتضمّن خصائصها الفيزيائيّة والوظيفيّة والتواصليّة، الإتصاليّة، ضمن إطار عام هو ما يعرف باسم "النظريّة اللسانيّة".

وكذلك الشأن بالنسبة لمفهوم "الحضارة" الذي انتقل من مقابل "البدو" بمعنى "التحضّر" إلى شمولات الحياة العصريّة ومتطلّباتها من حيث الرفاهية والتقدّم والتطوّر في جميع مناحي الحياة: اجتماعيًّا وثقافيًّا وسياسيًّا واقتصاديًّا.

لتضمن مختلف جوانب "المعرفة" التي تخدم "الانسان" وتجعله أكثر أمانًا وطمأنينة.

كما يرتبط مفهوم "الحضارة" هذا مع مفهوم آخر هو "المدنيّة"، فإن كان هذا الأخير، يُشير إلى مظاهر التمدّن الماديّة كالعمران، والآثار المختلفة، فإنّ الحضارة، بمفهومها الواسع تتضمّن هي الأخرى هذه الجوانب وزيادة لتمتدّ إلى العلوم المختلفة، والعناصر الثقافيّة التي تمتاز بها أمّة عن غيرها، ولاسيما في مجال "الآداب" فالحضارة العربيّة الإسلاميّة في عصورها الذهبيّة كانت تعرف بهذا الإسم وما تزال، "حضارة الأدب" بينما تعرف الحضارة الغربيّة عمومًا والأنجلوسكسونيّة باسم "الحضارة العلم"،

ولاسيما في القرنين الماضيين، لما تنشره مؤسّساتها من علوم دقيقة وتجريبيّة وبحوث ذات صيت عالمي...

في وقت كانت الحضارة العربيّة الإسلامية، خاصّة في القرون الوسطى ذات صيت ملأ الدنيا من الناحية الدينيّة، ومن ناحية الفنّ المعماري، ومن ناحية الفروسيّة، ومن ناحية الفنون الحربيّة، بل وحتّى من ناحية المأكل والملبس، وكلّ هذه الميادين تحتاج وقتًا طويلًا للبحث والدراسة، وستكون لنا عودة في سياق آخر إلى بعض هذه المجالات من ناحية الفلسفة والعلوم والأدب.

2. اللغة والحضـــــارة: أية علاقة

لقد جاء في مقال نُشر في مجلّة "الفيصل" السعوديّة، بعنوان "اللغة والتطوّر في الدراسات اللسانيّة" بقلم منذر عياشي، أنّ الموضوع: تناوله عدد من علماء اللسانيّات، ولهم فيه وجهات نظر مختلفة باختلاف النظريّات التي انطلقو منها، والفرضيّات التي اعتمدوا عليها في شرح هذه النظريّات، ونريد هنا أن نعرض إحدى هذه الفرضيّات لأنّ صاحبها قد عمّمها حتّى على اللغة العربيّة، ثمّ سنأتي بعد ذلك بنقيض لها كي نتمكّن من مناقشتها ونقف عند تحديد معنى "التطوّر اللغوي" عمومًا وتطوّر العربيّة خصوصًا.

فهنالك فرضيّتان في التطوّر اللغوي:

- **الفرضيّة الأولى:** لقد تكلّم العالم اللغوي أنطوان مي A. Meillet عن التطوّر اللغوي، وبنى رأيه على فرضيّة مفادها أنّ الخطوط العامّة للتطوّر تتماثل في كلّ الحضارات واعتمادًا على هذه الفرضيّة عقد مقارنة بين تطوّر اللاتينيّة والعربيّة، ورأى أنّ التطوّر متماثل في اللغتين، واستنتج من هذا أنّ كلّ واحدة قد أدّت إلى ميلاد لغات أخرى متعدّدة أو منفصلة عن بعضها بعض، إنّه يقول: "تعتبر لعض اللغات بديلة للغة واحدة وجدت سابقًا، تعتبر الفرنسيّة والايطاليّة مثلًا كبديلين للّاتينيّة، واللغة العربيّة السوريّة، والعربيّة المصريّة، والعربيّة المغربيّة _وهي

لغات تختلف اليوم فيما بينها اختلافًا كبيرًا عند الكلام_ تعتبر هي الأخرى بديلة للغة الفاتحين العرب".

الفرضيّة الثانية: كقول القاعدة المنطقيّة: إنّ نفس الأسباب تؤدّي إلى نفس النتائج ما لم تختلف الظروف عليها. وهذا يعني، بالنسبة للحالة التي بين أيدينا، أنّه لكي تتماثل الخطوط العامّة للتطوّر في حضارة من الحضارات مع الخطوط العامة للتطوّر في حضارة أخرى يجب أن يتوفّر شرطان على الأقلّ:

- ✓ **أوّلًا:** يجب أن تتماثل الخطوط العامّة التي انبنت عليها كلّ واحدة من الحضارتين.
- ✓ **ثانيًا:** يجب أن تمرّ الحضارتان بظروف متقاربة، إن لم نقل بالظروف نفسها.

وممّا تقدّم، يتبيّن لنا أنّه ليس صحيحًا عقد وجه شبه بين الحضارتين، وذلك لسببين:

- لاختلاف البنى المكوّنة لكلّ من الحضارتين أوّلًا.
- ولاختلاف ظروف التطوّر التي تعاقَبَتْ عليها ثانيًا.

وأنّ للتطوّر اللغوي والحضاري علاقة وثيقة تربطهما.

وممّا تقدّم نجد أمّ الحضارة بالرغم من تعدّد أوجهها ومجالاتها، إلّا أنّها لا تنفكّ عن اللغة التي هي بمثابة الوعاء الجامع لشتاتها، وصورها مثلما نراه لاحقًا.

التبادل والتفاعل بين الأمم

1. استهلال: تبعًا للفرضيّات السابقة، وأنّه بقدر ما هنالك تفاوت في درجة التأثير والتأثر، بحسب الزمان والمكان، ودرجة الطفرة الحضاريّة التي تصل إليها حضارة من الحضارات، إلّا أنّنا نجزم يقينًا بأنّ لا واحدة من الحضارات عبر التاريخ، قامت من تلقاء نفسها، وإنّما نجد التأثيرات المختلفة.

وهذه سنّة الله في الأرض وأنّ التبادل والتفاعل قائمان، وإنّما يختلفان فقط في الدرجة والمجال، حسب عامل الزمن والجغرافيا.

وبحسب رأي رجب أبو دبوس، الذي أورده سالم المعوش في كتابه القيِّم: "الأدب وحوار الحضارات (المنهج والمصطلح والنماذج)" أنّه: "لا أحد يجهل، وربّما لا نحتاج إلى تأكيد أنّ الحضارات الإِنسانيّة، المتعدّدة، دخلت في علاقات، وتصادت وتصادمت، بقدر ما تحاورت، وتبادلت التأثير... الصراع لنفسه. كان أحيانا، أسلوبًا لمعرفة الآخر، ومدخلًا لعلاقة مع الآخر، ولم يمنع التأثّر بالآخر ولا التأثير فيه، الغرب أخذ الكثير من العرب، كما أنّ العرب أخذوا من الغرب، من خلال ما عرف بـ "الحروب الصليبيّة"... وحجّة دبوس أنّ القوّة الماديّة ليست دائمًا مرادفة للقوّة الحضاريّة، وأنّ القويّ لم يكن باستطاعته تدمير الخصم تمامًا، وظلّ الصراع، مهما عظم، محدودًا، ولا يمكن للقوّة الماديّة قهر قيم الحضارة، وبفضل الصراع نفسه، يمكن كشف الفرقاء للآخر، وليس هناك شرّ مطلق ولا خير مطلق، في أيّ فريق من فرقاء الحضارة، ويمكن أن تكون الحضارات في مواجهة الضدّ حضارة، بينما يتبدّى أنّ الحضارات تفاعل وتمازج وحوار وليست صراعًا، هذا الحوار ينبغي وضعه في إطاره الصحيح، وهو العالم المتغيّر....

لنخلص في نهاية المطاف، أنّ الصراع الحضاري يبدو على السطح قَـدَرًا، وفي خياره يبقى عمق الجوهر؛ يعيش اللحظة متأثّرًا بما حوله ويصنع للتاريخ حضارة تحمل من خصوصيّة الشيء الكثير.

2. مظاهر من التبادل والتفاعل بين الأمم: (العرب والغرب أنموذجًا):

... وبقدر ما تبدو مظاهر التبادل والتفاعل بين الأمّتين العربيّة والغربيّة زهيدة، في القرون الماضية، ولاسيما تلك الموغلة في القدم، وكثيرة في عصرنا الحالي إلّا أنّ ثمّة حركة هامّة، تُنَصِّبُ نفسها للدّفاع عن هذا التبادل وتؤكّد فضل الريادة للحضارة العربيّة الإسلاميّة، سمّاها محمد عبد الرحمان مرحبا في كتابه "أصالة الفكر العربي..." بـ "حركة الإِنتصاف للفكر العربي" وهي حركة تتكوّن من عدد لا يُستهان به من المفكّرين والمستشرقين الغربيّين أمثال: ماكس مايرهوف، وسارطون، وجيكر، وستيفنستون، درودنسون، وكاجوري، ونالمينو، وماسينون، وبلاشار، مونتغمري وات، بيرك، وزيغريد هونكه، أنّهم اعترفوا _على تفاوت فيما بينهم_ بالإسهام الكبير، الذي قدّمه العلماء والمفكّرون العرب للحضارة الانسانيّة، وخدمة الحقيقة العلميّة، كما أنّهم شهدوا

بفضل التراث العربي الإسلامي، وبالمشاركة الفعّالة، التي حقّقها هذا التراث طوال قرون عدّة في ميدان التقدّم العلمي والرقي الانساني، وأنّ مجرّد تصفّح كتاب "الفهرست" لابن النديم، و"طبقات الأطبّاء" لابن أبي اصبيعة، و"وفيات الأعيان" لابن خلكان، و"كشف الظنون" لحاجي خليفة.

فلولا "ابن الهيثم" و"الخازن" و"الكِنْدي" و"الرازي" و"الفارابي" و"ابن سينا"، و"البيروني" و"الخوارزمي" و"ابن النفيس" و"البستاني" و"الصوفي" و"ابن الشاطر" و"ابن يونس" و"ابن رشد" و"البغدادي" و"الطوسي" و"ابن خلدون"، ما ظهر "بيكون" و"غاليليو" و"نيوتن" و"كيلر" و"كوبرنيقوس" و"هارفي" و"ديكارت".

وبالعودة إلى التاريخ، إلى القرون الوسطى، بالنسبة للغرب مثلما أورد ذلك "علي علي سليمان" في حديثه عن أثر الثقافة العربيّة الإسلاميّة على الغرب: "أنّها تميّزت بنظام الاقطاع، وباستبداد الكنيسة، وبالجهل، التعصّب الفاضحين..... بينما في الشرق الإسلامي، فما كاد العباسيّون يستقرّون في الحكم، حتى بدأ عصر الازدهار والرفاهيّة، وأقبل الناس على العلوم وعلى الفلسفة بِنَهَم لم يعرف له نظير، وبدأت حركة الترجمة إلى العربيّة من الثقافات اليونانيّة والفارسيّة والهنديّة والرومانيّة، وعمّت الثقافة حواضر الإسلام فشملت العراق والشام ومصر وشمال إفريقيا والأندلس.

وفي سياق آخر، ذي صلة، يؤكّد محي الدين صابر في مقال له بعنوان: "العلاقات الثقافيّة العربيّة الأوربيّة" أنّه: "ينبغي أن نُشير إلى أنّ الحوار لا يعني إلغاء الفوارق القائمة بين الجانبين، لكن على العكس من ذلك تمامًا، فإنّ قيام هذه الفوارق هو الذي يبرّر الحوار، وذلك لمُعالجة طبيعة تلك الفوارق؛ وتحويلها إلى تعاون بدلًا من أن تتّجه إلى صراع."

وذلك بتقوية جوانب الالتقاء، وتحييد جوانب المفارقة، على أنّ هذا الحوار لا يُلغي الخصائص الفريدة لطرفي الحوار، وحسب محي الدين صابر فإنّ الحوار: "هو وحده القادر على إعطاء ثمرة جديدة، وخلق موقف جديد، وهو إغناء حقيقي لتلك الخصائص في الوقت نفسه.

وأنّ هذا الحوار الإيجابي، يُشكّل بوادر يقظة الضمير العالمي "الذي بدأ يتّخذ تعبيرًا فكريًّا وقانونيًّا وسياسيًّا، في الدعوة الجادّة، إلى نظام اقتصادي عالمي جديد، وإلى نظام ثقافي عالمي جديد ...".

حوار الحضارات وخصوصيّة الثقافة

1. **فاتحة:** بقدر ما تؤكّد الدراسات التاريخيّة المنصفة سواء عند العرب أو عند الغرب، فإنّ ثمّة عددًا لا يُحصى من الشواهد التي "تثبت وجود مرحلة إبداعيّة ضخمة جدًّا بين مرحلتي الإغريق والنهضة، فليس هناك فراغ بين المرحلتين" مثلما ذهب إليه محمد عبد الرحمان مرحبا، وإنّما الفراغ أصاب أصحاب النفوس المريضة، يؤمنون ببعض ويفكّرون ببعض "إنّهم مثل على جميع أولئك الّذين يكتمون الحقّ وهم يعلمون، ليسوا سواء، منهم طائفة وقفوا بعناد أمام هؤلاء العابثين وكشفوا زيفهم وبطلان أقاويلهم." مثلما أوضح الباحث المذكور أعلاه.

- كما تجدر الإشارة بفضل بعض المستشرقين الذين يرقبون الفكر والكلم، ولا ينسبون بقول أو رأي إلّا بعد إحكامه وإطالة النظر فيه.

وأنّ عصور الفراغ، أو العصور الوسطى إنّما كانت عصور ظلام وانحطاط للغرب المسيحي لا الشرق الشرق الإسلامي، يقول محمد عبد الرحمان مرحبا بخصوص هذه المرحلة: "إنّما ربط (يقصد الشرق الإسلامي) بين القديم والحديث، وسدّ الهوة العميقة بين الإغريق (والرومان) وعصر النهضة، لقد كانت مرحلة الربط هذه مرحلة هامّة في تاريخ الفكر الإنساني كلّه، بظهور الإسلام وتوسّعه في خلال قرن واحد من الزمان من حدود الصين شرقًا إلى حدود فرنسا غربًا، وزحفه على أوربا نفسها حتى لكاد يطوّقها لولا معركة بلاط الشهداء سنة 732م".

ليُضيف الباحث قوله: "لقد قام العرب والمسلمون في ظلام بربرية القون الوسطى بحمل رسالة الفكر والحضارة، ومن ثمّ برزت نهضة عقليّة وعلميّة امتدّت ألف عام، لقد كانت أوربا آنذاك عبارة عن أبراج يسكنها سادة نصف متوحّشين يفاخرون بأنّهم أميّون وأنّ الماء لم يمس أبدانهم سنين بعيدة. وطال عهد الجهالة هذا في أوربا حتى

القرن الثاني عشر، ثمّ طرقوا أبواب العرب يشهدونهم ما يحتاجون إليه ويتعلّمون منهم فنون العلم والحضارة.

ومن هنا بدأ الغرب يتّصل بالعرب ويأخذ عنهم، إلى أن اصطدم مرّة أخرى في صورته الحادّة، أو عندما استيقظ العالم على واقع عالمي جديد أنتج ما سمّاها محي الدين صابر بالهوة الحضاريّة Cultural lag التي بدأت حسب رأيه "منذ المدّ التجاري والاستعماري، الأوربي، في المجتمعات الأمريكيّة والافريقيّة والأسيويّة، ثمّ اتّصل بعد ذلك في المجتمعات النامية، والتي تحرّرت سياسيًّا، عقب الحرب العالميّة الثانية، في صورة التبعية الثقافيّة والإقتصاديّة والسياسيّة للدّول المستعمرة القديمة؛ ثمّ في صورة التبعية التكنولوجيّة والماليّة والتجاريّة، في صورة نفوذ الشركات المتعدّدة الجنسيّات نشاطها الواسع عبر القارات.... ممّا يُضيف عبئًا جديدًا على مسار الحوار، بين الدّول لأسباب كثيرة".

وبقدر ما تصادّت الحضارتان العربيّة والأوربيّة بفعل العوامل السابقة وغيرها، بقدر ما حصل اتّصال مباشر بين الحضارتين أو بالأحرى بين الضفتين، أقصد الجنوبيّة والشماليّة للمتوسّط. كما تجلّت أكثر مظاهر التّأثير في الحضارة الغربيّة في الميادين التالية:

أ. من الناحية الدينية. ب. الفنون الحربيّة. جـ. العمارة والهندسة.

د. الفروسيّة. هـ. الحقوق العمالية (النقابيّة). و. المأكل والملبس.

إلّا أنّ أهم مظهر من مظاهر التأكيد قد تجلّى بصورة لا ينكرها إلّا جاحد هي ميدان: الفلسفة والعلوم والآداب.

إذ أوضحت دراسة علميّة قام بها الأستاذ علي علي سليمان، حول مسالك الثقافة العربيّة إلى أوربا، أو تلك التي سمّاها بـ "المعابر" التي عبرت من خلالها الثقافة العربيّة إلى أوربا، وقد بلغ عددها ثلاثة (03) معابر نوجزها فيما يلي:

1. أوّل معبر انتقلت به هذه الثقافة هو: **الحروب الصليبيّة** التي استمرّت من أواخر القرن الحادي عشر ميلادي إلى القرن الثالث عشر ميلادي.

2. أمّا المعبر الثاني، كان الجزر التي فتحها المسلمون في جنوب إيطاليا وإلى ما بعد جزر قبرص ورودس وكريت ومالطة في المتوسط.

كورسيكا سنة 809م وسردينيا سنة 810م، وبالرمو ومسينا وباري سنة 841م، وسراكوزا سنة 878م، وتارمينا سنة 902م.

وهدّدوا روما تهديدًا خطيرًا فوصلوا إلى ضواحيها سنة 846.

3. ولعلّه من أهمّ المعابر، التي انتقلت منها الثقافة الإسلاميّة إلى الغرب، فهو الأندلس من:

- ✓ ناحية اليهود.
- ✓ وفود الطلبة الغربيّين
- ✓ من ناحية مدرسة الترجمة التي أنشأها الاسبان في طليطلة.